مجلـة فكريـة إبداعيـة

مجلة شهرية تصدر مؤقتا ست مرات في السنة • **العدد 25 ــ السنة السادسة ــ 1982** • المدير المسؤول : **محمد بنيس**. هيئة التحرير : **محمد البكروي، مصطفى المسناوي، عبد الله راجع**. العنوان : **ص.ب. : 505، المحمدية، المغرب**. التصفيف الالكتروني : **لينو النخلة، 5، زنقة مستغانم، البيضاء**. السحب : **مؤسسة بنشرة للطباعة والنشر**. التوزيع : **سوشبريس**. رقم الايداع القانوني : **12ــ1974**. الاشتراكات : **بالمغرب** : الاشتراك العادي : **30 دهـ**. اشتراك المؤسسات : **75 دهـ**. **الاقطار العربية وأوروبا** : الاشتراك العادي : **75 دهـ**. اشتراك المؤسسات : **225 دهـ**. **اشتراك المساندة** : ابتداء من 50 دهـ. **تبعث الاشتراكات باسم** : محمد بنيس ــ **الحساب البريدي** :

1.383.41 الرباط.

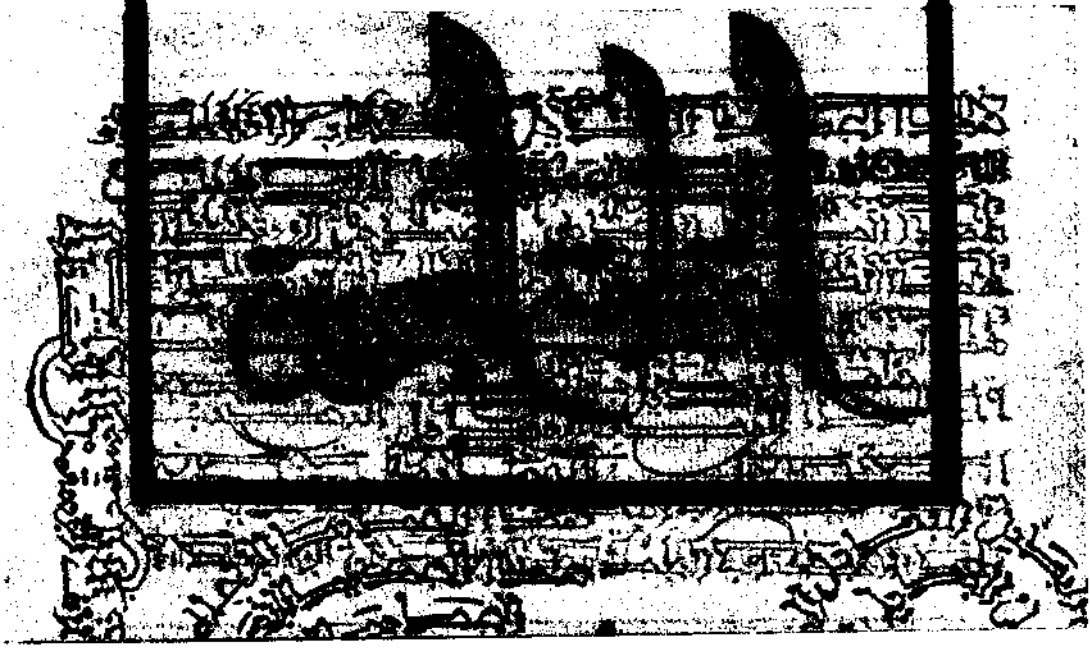

الموضوعـــات

دراســات

الوعي الذاتي
برهان غليون 4

في الشعرية
كمال أبو ديب 11

جدل العين والذاكرة في مجموعة «اللوز المر»
نجيب العوفي 51

نصـــوص

القبـر
الياس خوري 66

الطيـــور
أمل دنقل 90

قصائد للبحر والحرية
عبد الرحيم حمو 92

قراءات ومناقشات

الخطيبي وتفكيك الايبسية
صفية السباعي 94

جبهة الأمل لعبد اللطيف اللعبي
الياس ادريس 103

ملحوظتان حول «ملحمة بيروت»
هادي العلوي 110

من تراثنا الحديث

تاريخ الشعر والشعراء بفاس (الجزء الثاني)
أحمد الميشي 114

برهان غليون

الوعي الذاتي

موقف الشلل الذي اصاب العرب جميعا خلال حرب لبنان الأخيرة هو المحصلة الطبيعية لسياسة قومية وقطرية مستمرة منذ عقود. والمقومات الأساسية لهذه السياسة هي الاستهتار الفعلي بالخطر الاسرائيلي رغم المزاودات الكلامية، والتبذير المذهل للطاقات والموارد البشرية والمادية رغم الحديث الذي لا ينقطع عن التنمية وأهدافها، والتدمير المنظم والدائم للاطار الشرعي للحكم، أي الدولة، رغم الضجيج المستمر بالقومية والوطنية.

فبعد عام 1972 اعتبرت الحكومات العربية أنها قامت بدورها،وسجلت النصر الذي كانت بحاجة اليه، فتفرغت لحروبها الداخلية لتضع يدها بقوة على شعوب بدأت ترفض العطالة والهامشية، وفتحت جبهات موازية بين الاقطار العربية، كما لو أن إسرائيل لم تعد موجودة على الخريطة. عندما جاءت الحرب لم تكن مهيأة، لا عسكرياً ولا سياسيا، للقيام بأي رد فعل. وهكذا بقيت عشرون دولة عربية خلال ثلاثة أشهر من الحرب وحصار بيروت دون حراك. كانت عاجزة حتى عن الاتفاق على بيان سياسي.

وبدل أن تستفيد في السنوات الماضية، وهي سنوات استقرار اجتماعي نسبي إلى حد كبير، كي تثمر وتعبئ طاقاتها العظيمة، قضت الأنظمة العربية وقتها في تبديدها واحدة تلو الأخرى. يضم العالم العربي أكثر من مئة وخمسين مليون نسمة، وينطوي على موارد نفطية ومعدنية ومالية لا حدود لها. ولو أمكن وضع هذه الثروات البشرية والمادية جميعاً موضع الاستثمار المشترك، أو لو استثمر بشكل جدي واحد بالمئة منها، لأصبح لدى العرب وكل دولة عربية أسلحتها وسوقها ولنشأت آلية تنمية جديدة تتجاوز بدون مقارنة كل ما تحلم به البلدان النامية من معدلات.

عوض ذلك ، وجهت هذه الدول طاقاتها البشرية للحروب الأخوية، ودفعت إطاراتها إلى الهجرة في غالب الأحيان لأسباب سياسية أو لنقص في إمكانيات البحث والصناعة. وهدرت طاقاتها المالية في استثمارات خارجية أو في المضاربات أو الاستهلاك الكمالي المفرط. فلم تثمر أيا من نقاط القوة التي تملكها، ووجدت نفسها تسير أكثر فأكثر نحو الاعتماد الشامل على الخارج : في السلاح والصناعة والغذاء والماء.

وعلى صعيد السياسة الداخلية، استمرت الأنظمة العربية تقضم هامش الحريات المدنية البسيطة والأولية التي ورثتها الجماعة من تاريخ امبراطوري طويل قائم على الاستقلالية الذاتية،

حتى انقطعت اية علاقة بين الحكم والشعب. وبدت الدولة غطاءً هشا للجيوش والمليشيات المرتبطة مباشرة وكليا بالفريق الحاكم. فأصبح الاحتلال الاسرائيلي صورة سوقية وعادية لاحتلال أوسع وأشمل في كل عواصم ومدن العالم العربي. بل إن تدمير هذه المدن قد اكتسى طابعا واحداً، وصدر عن هدف واحد : الحرب الوقائية أو الرادعة.

بيد أن الأنظمة التي ربطت بقاءها بقتل حس الكرامة والحرية عند أفراد شعبها قد أعدته أيضا لقبول كل أنواع الاحتلال، أو على الأقل للنظر إلى هذا الاحتلال كأمر عادي. لقد جرت معركة بيروت ، وهي دون شك من المعارك الكبرى في التاريخ الحديث لضخامة أهدافها وكبر أبعادها الاقليمية والدولية، دون أن يبدو على العرب ، أنظمة وجماهير، جماعات وأفراداً،أي تأثر فوق العادة، أو أي شعور استثنائي بخطورة الحدث وخطره. مرت حرب لبنان في كل العالم العربي كما لو كانت مناوشة بسيطة. وكانت ردود الأفعال في إسرائيل نفسها أقوى منها بما لا يقاس في كل أنحاء البلاد العربية.

ولم يتبين نتيجة ذلك أن في المنطقة العربية جيشاً واحد لا غير، هو الجيش الاسرائيلي ــ ومقاومات مقسمة بقدر ما هي مضعضعة ــ بل تبين أيضا أن فيها دولة واحدة وطنية ومستقلة هي إسرائيل، وما تبقى ليس الا مجموعة مستعمرات متمتعة إلى حد أو آخر بالحكم الذاتي، لكن ليس في يدها في النهاية القرار النهائي ولا إمكانيات تحقيق هذا القرار.

وسواء حققت إسرائيل أهدافها أم لا، فقد أعطت للعرب جميعاً درساً لن ينسى، سوف تتأمله أجيالهم وتفكر به طويلا. وليس لهذا الدرس علاقة بالتفوق العسكري أو التكنولوجي، فقد ثبت، بالعكس، حدود هذا التفوق أمام مقاومة شعبية منظمة. وليس له علاقة كذلك بالتحالفات السياسية الخارجية، فقد تبين أن ضغط الرأي العام الدولي لم يمنع إسرائيل من الاستمرار حتى آخر لحظة في انجاز ما أرادته من البدء : تمشيط بيروت والقاء القبض على كل من شارك بشكل أو بآخر بالمقاومة ضد إسرائيل وضد حلفائها. إنه يتلخص في هذه الأخبار البسيطة : قامت في اسرائيل خلال الحرب مظاهرة بل مظاهرات عارمة تطالب بايقاف الحرب ــ ليس لانقاذ الفلسطينيين كما قيل خطأً ــ ولكن لمنع إسرائيل من الاستمرار في سياسة انتحارية على المدى الطويل. وبعد أكثر من ثلاثة أشهر منعت الحكومات العربية ومازالت كل مظاهرة أو تظاهرة للاحتجاج ضد احتلال بيروت والمذبحة الوحشية في صبرا وشاتيلا. هذا المنع يقول بذاته كل شيء : ليست الشعوب العربية شعوبا معترفاً بها بمعنى الكلمة، فلا يحق لها التعبير عن تضامنها، ولا يسمح لها بالتعبير عن رأيها. وليس لها أن تفكر بغير الأكل والشرب كحيوانات البحر.

ما وصل اليه العالم العربي هو دون شك حصيلة سياسات محددة اجتماعية واقتصادية وعسكرية وثقافية والأنظمة التي صاغت ونفذت هذه السياسات هي المسؤولة عنها. بيد أن هذا لا يكفي لاخراجنا مما نحن فيه. إن وصول الفئات الحاكمة إلى الحكم واستمرارها فيه

لفترة طويلة، لم يحصل كله وحسب بالعنف والقهر اللذين يميزان اليوم العديد من نظم الحكم العربية. لقد حصل غالباً لأنه كان هناك ومازال فراغ في السلطة ولا يعني ذلك فراغ في السلط. وليست العناصر الأكثر جدارة هي بالضرورة الأكثر اندفاعاً لسد هذا الفراغ. بل العكس هو الصحيح : إنها العناصر الأكثر غروراً وجهلا ومغامرة. وهي الأقل شعوراً بالمسؤولية القومية والتاريخية والاجتماعية. وهي الأقل معرفة بخطورة المهام المطروحة، وبقدراتها الذاتية. باختصار هي العناصر الوصولية التي لا دين لها ولا دنيا. ومن الطبيعي أن تقود هذه العناصر الأمة الى التهلكة. فهي لم تفهم السلطة ولا تستطيع أن تفهمها الا كإقطاعة خاصة وكتسلط واستئصال لكل معارضة أو احتجاج أو مخالفة مغايرة. وليست قادرة ولو للحظة واحدة أن ترى في السلطة والحكم التزامات جماعية، وتنفيذا لبرنامج ولسياسات، ومحاسبة على هذا التنفيذ، لم تر فيها إلا مكافأة تعني حرية مطلقة لأولئك الذين اثبتوا بوصولهم ووصوليتهم جدارتهم وانتماءهم إلى عرق آخر، عرق الحكام والولاة. وليس الفراغ المقصود هو غياب فئات أخرى منافسة أو مزاحمة، فهي كثيرة. إنما هو غياب المشروع الاجتماعي الواضح والمقنع الذي تستقي منه مشروعيتها كل سلطة. وليس غياب هذا المشروع إلا نتيجة لغياب الوضوح الذهني، والنضج التاريخي، ومن ثم القناعات العميقة ، مما يجعل الوعي العربي خائفا مترددا، غير أكيد ولا واثق بما يريد وما لا يريد. في هذا المناخ من الشعور العميق بتأرجح كفتي الميزان، بصعوبة الاختيار وخطورته معاً، بفرادة الوضع الجديد التاريخي وأصالته، يتقدم القائم بنفسه ومن نفسه ليجعل من سلطته الذاتية هدفاً مختاراً للجميع. لكنه في عجزه الكامل عن ادراك كنه الحركة التي تلفه والسيطرة عليها، يرتد على المجتمع ليوقف فيه كل حركة، فكرية أو سياسية، سادا بذلك الطريق أمام إمكانية نضوج الفكرة واستكمال أدوات إدراك الواقع ووعيه.

ويبدو أن الحرب الفلسطينية الاسرائيلية الأخيرة لم تفتح الباب المسدود أو المرصود في لبنان فقط، بل فتحته في العالم العربي كله. لقد عاد التاريخ أكثر من نصف قرن دفعة واحدة. وانمحت الأخيلة والصور التي غطت خلال هذه الفترة على الواقع، وانفك السحر : الاستقلال والحرية والتنمية والتحرير أصبحت جميعاً كلمات جوفاء. كما لو أن العالم العربي قد قذف من جديد في تاريخ يجهله وعالم لم يعرفه من قبل. وعادت الاسئلة الأولى تطرح نفسها. ليس هناك مراجعة، اذ ليس هناك ما يراجع ويرجع اليه، بل انفتاح فطري، انفتاح النظرة الأولى والوعي الأول، على العالم : من نحن ؟ أين ومتى وأنى وكيف؟

هذه الأسئلة الأولى التي تشترط غياب الجواب في الوعي العربي تحكم اللاوعي في حقبة من تاريخنا الماضي، كثيرة ومنوعة. أردنا أن نستعيد بعضها. أن نطرحها من جديد كي نبدأ تاريخاً آخر، أو نبدأ نتحدث من داخل التاريخ. ليس المهم أن نجيب عليها بقدر ما المهم أن نستوعب أبعادها، أن نجعلها حاضرة في ذهننا حتى تأخذ المسائل الأخرى معانيها النسبية، حتى يمكن التفكير.

. السؤال الأكبر والأعم يتعلق دون شك بعلاقة العرب بالتاريخ الحديث. كيف عاش العرب هذا التاريخ واستنبطوه وحلوا عقده وتناقضاته، انقطاعاته واتصاله، وربطوا بين مستوياته وطبقاته ؟ كيف صنفوه وأصبحوا صنيعته أخيراً ؟ عاش العرب التاريخ الحديث كانحطاط ذاتي، كسقوط، كهامشية وكعجز. كتقدم متسارع وهائل للغير وتأخر مستمر ومتواصل للذات. كتدهور لقيم الماضي وتراثه وأمجاده، وكسقوط تحت سنابك الاحتلال والامبراطوريات والدول الجديدة، وكفقدان لكل وسيلة تسمح بالتحكم بالمصير الذاتي وبتوجهه. عاشوه باختصار كسلبية مطلقة ذاتية تقابل ايجابية مطلقة غيرية. وباستثناء موازاته عند اللزوم بالمجد العربي على رؤية التاريخ بصورة مختلفة. فمساهمتهم بالحضارة الراهنة تتضاءل بدل أن تتزايد على الصعيد العلمي والثقافي والصناعي. إنها مساهمة بدائية محضة : تصدير الثروات الباطنية.

وهكذا لم يستطع العرب أن يقيموا علاقة موضوعية ومتوازنة مع التاريخ. فهم يترددون بين رفضه مطلقا رفضاً منهم لحسهم بالهامشية والعجز والتفاهة، وبين قبوله مطلقاً قبولا يعني في غالب الأحيان تحقير الذات ونكران الهوية وقبول التبعية. فهو مدمر وقاتل من جهة بما يحمله من مخاطر، وهو ساحر وفاتن من جهة ثانية لما ينطوي عليه من فرص للرفاهية والحضارة والمتعة والحرية. لكنه مخاطر للذات وحضارة للآخرين. يبدو التاريخ الحديث عن حق إذن للعرب ككارثة قومية أفقدتهم مكانتهم الدولية وشوكتهم وثقتهم بذاتهم، بقدر ما يبدو ازدهاراً وتفتحاً وسيطرة وقوة وإبداعاً وتحكماً هائلا بالطبيعة هم مازالوا يحرمون منها جميعاً. بين الحقد والحسد، والقبول والرفض، والاقتراب والابتعاد، والانخراط والانسحاب، يعيش الوعي التاريخي العربي في أزمة دائمة. فالقطيعة التي شكلها التاريخ الحديث بالنسبة للعرب لم تستوعب بعد ولم تهضم بما فيه الكفاية. ومازال يرفض الاعتراف بالهامشية الجديدة، رغم أنه يعد نفسه للعيش الدائم فيها، ويقبل ببداهة أن يكون مركز العالم والتاريخ خارجه وبعيداً عنه. لسان حاله يقول : هذا ليس زماني وإنما زمن الآخرين، فأنا فيه غريب. وهذا ليس مكاني الطبيعي، والطبيعي أن أكون في غير هذا المكان. لقد نسي العالم العربي تقاليده كامبراطورية عالمية أو تناساها، ولم يتعلم بعد تقاليد العبودية أو يتأقلم معها كلية حتى يوقف الاحتجاج. وليس من المؤكد أن «لا ردود فعله» الأخيرة، هي تعبير عن تمثل نهائي للوضع الجديد المفروض عليه : أن يعيش كموضوع لا كذات فاعلة في التاريخ.

. المسألة الثانية المستنبطة من الأولى مباشرة تتعلق بعلاقة العرب بالعالم، وبالغرب الذي أصبح محور هذا العالم ومركزه. فالآخر أصبح هو الغرب بقدر ما أصبح الغرب هو الآخر، أي مغايرة مطلقة. وهو بوصفه كذلك يثير شعورين متناقضين : الخطر الجاثم، والفضول الدائم لمعرفة الجديد والمجهول والغريب. فهو بنفسه مشكلة. إنه المستعمر، المسيطر، المهيمن والمتجبر الذي لا يفكر الا بالاطباق على الشعوب الضعيفة ونهبها وتدمير بنيانها.لكنه في الوقت ذاته، المورد الأول للعلم والتقنية والحضارة، ومركز التسلية والسياحة والمتعة. وموطن التقدم والمثل

الانسانية والثورية والقيم الفنية والجمالية. فكيف نتعامل معه ؟ نقبله أم نرفضه ؟ أو نقبله ونرفضه معاً كنموذج وكمثال يحتذى ؟ في الواقع لم نستطع أن نقبله كما لم نستطع أن نرفضه، ولم نستطع أن نؤثر عليه ونحوله حتى نتمكن من قبول ما شئنا منه ورفض ما شئنا. بقي كما هو منذ أكثر من قرن ساحراً ومرعباً، قاتلاً ومخلصاً، حامياً وفاتحاً، وبقينا كما نحن خائفين ومسحورين معاً. وكما لم نجد الموازنة بين طموحاتنا وواقعنا الفعلي لنحدد مكانة معقولة لنا ونتصالح مع التاريخ، لم نجد أيضاً دائرة التعامل والتبادل الممكنة مع الغرب حتى نتصالح مع العالم. متمردين على هيمنة الغرب في التاريخ،صرنا أيضاً متمردين على التاريخ في الغرب والعالم. بين الخضوع الكامل والاحتجاج الشامل، مازلنا نعيش أيضاً بين رفض الذات وإنكار الآخر.

. ومسألة ناجمة عن المسألتين المذكورتين تخص علاقة العرب بالواقع. وهي اكثر العلاقات وضوحا وعنفا، يبدو لنا الواقع جميعا، من تقليديين ومحدثين، انحرافا عن الخط وتشويها للاصل، هو واقع سيء، متخلف محنط، مبتور لا معنى له في ذاته ولا قيمة، فهو تشويه لعالم الاسلام الاصلي لدى البعض، وهو بعيد كل البعد عن صورة الواقع الحديث المعاصر المتحضر بالنسبة للبعض الآخر. هو جاهلية ثانية من جهة، وامتداد للقرون الوسطى وعصور الظلام من جهة ثانية. هو واقع الغزو الثقافي والحضاري لدى الاسلاميين، وواقع العشائرية والجهل والتآخر وغياب مثل الحرية والفردية لدى المحدثين.

وفي هذا التصور للواقع ينبع موقفنا منه : موقف الرفض المطلق والمقاطعة. هذا الرفض هو أيضا مصدر النزعة الثورية التمردية اليسارية والاسلامية معا. ليس هناك اذن مجال للتفاهم مع الواقع لقبوله، للاعتراف به. وليس هناك بالتالي إمكانية لمناقشته بالتفصيل، لتحليله، لفهمه من أجل تغييره من الداخل. وهذا أحد أسباب فقر العلوم الاجتماعية العربية لصالح النظرية السياسية. النزعتان الاسلامية والقومية تظهران كسياسة محضة، كموقف سياسي اخلاقي.

. المسألة الرابعة تتعلق بالصورة التي يعطيها العرب لانفسهم ; بالهوية أو بالماهية : ما هو العربي وما صورته المطابقة لنفسه؟ سواء أعلنا ذلك صراحة أو لا، نحن نعيش صراعا بين تصورين لماهيتنا : تصور يستند الى فكرة أمة عربية تجسد انتماءا الى دول أو أقطار أو مناطق اقليمية. ليس ذلك لان الحقيقة السياسية (الدول والجنسيات) لا تنطبق على الحقيقة الثقافية (وحدة الثقافية العربية الى اليوم) ولكن أكثر من ذلك لأن الحقيقة القطرية (السياسية والثقافية) لا تتماشى باستمرار مع الحقيقة القومية (التضامن السياسي والتفاعل الثقافي المشتركين).

هذا الصراع يجعل صورة العربي عن نفسه مهزوزة، متفاوتة، ومتقلبة وواهية أيضا في شقيها العروبي العام والقطري الخاص. لا الانتماء للامة العربية قوى بما فيه الكفاية حتى يبعث

على الاستقرار ويضمن الالتزام بالمستؤوليات، ولا الانتماء للدولة القطرية، كافٍ أيضا حتى يضمن التماهي وتحقق الذاتية.

نحن نتردد بين انتمائين : الانتماء لهوية عامة ثقافية بالضرورة هي العروبة. والانتماء لاطار سياسية ايديولوجي، هو الدولة. الانتماء الاول يقصر عن ارضاء حاجات الصراع السياسي وتنظيم السلطة، والثاني قاصر عن ارضاء حاجات التماهي الثقافي والتاريخي.

إن الطموح الى الدولة العربية الواحدة نابع في الحاجة الى حل هذا الاشكال والى المطابقة بين هوية ثقافية جامعة، وهوية سياسية فاصلة ومميزة.

. المسألة الخامسة تتعلق بقضية اكثر تشخيصا، مقاومة التوسع الاسرائيلي، والتعامل معه. شكلت اسرائيل بؤرة مركزة لعلاقات العرب بالواقع والآخر معا، فارتبطت المقاطعة المطلقة (ممنوع ذكر اسرائيل بالاسم) بالعجز عن تحديد موقف من الآخر. كانت اسرائيل وما زالت مسألة تستعصي على الفهم العربي. فصورتها تتراوح بين صورة شراذم اليهود شذاذ الآفاق الذين لا قيمة لهم ولا يمكن لهم أن يهددوا العرب في عمق التفكير، أو الآن على المدى الطويل، وبين صورة الدولة القلعة القلعة العسكرية ــ المجتمع الصلد الذي لا تفاوت ولا تمايز فيه في المواقف والعداء، والذي يستطيع أن يحبط كل عمل عربي وأن يسيّر خيوط السياسة والعمل في كل المنطقة، هو الذراع القوية والمخابرات العالمية لكل شيء.

وهذه الصورة حددت أيضا الموقف من اسرائيل. في البدء كان يظهر كما لو أن عدم الاعتراف باسرائيل كاف ليحبطها ويقضي على وجودها الضئيل القيمة. كنا ننتظر أن ينفرط عقدها من تلقاء نفسه بالمقاطعة المطلقة الروحية والعملية.

وفي المرحلة الثانية بعد 1956، أخذت تسود صورتها كمعسكر متقدم للاستعمار. والقضاء على الاستعمار في البلاد العربية وعلى الانظمة والطبقات المرتبطة به كان المفروض أن يؤدي الى زوالها تلقائيا. هذه سياسة عبد الناصر بشكل عام. بعد 1967، ركبت هذه الصورة على صورة اسرائيل كقلعة للامبريالية الامريكية، ولم نتعامل معها، الا كذلك. وهذه الصورة هي التي كمنت وراء الحديث عن أن 99% من أوراق الحل في يد الولايات المتحدة. أو ان 99% من هذه الاوراق في يد موسكو باعتبارها الخصم الاساسي للولايات المتحدة. وعلى هذه الصورة ترتكز كذلك قرارات فاس الأخيرة، التي لم تر من امكانية الحل ووسائله الا الضغط على أمريكا. كقوة خارجة عن الطبيعة، تافهة وقوية الى أبعد الحدود، رفض العرب تسميتها اي الاعتراف بها، وقبلوا بالخضوع لقوتها في الوقت ذاته. لم نقبل اسرائيل ولم نواجهها أيضا، لم نقبل السلم ولم نعمل شيئا للانتصار في الحرب.

وهنا أيضا يبدو لنا اننا لن نستطيع أن نواجه اسرائيل عسكريا الا اذا فهمناها كواقع اجتماعي وسياسي مشخص، في استقلاليتها وعلاقتها مع الغرب معا. لكن قبولها كواقع

اجتماعي سياسي، وهو ما يهم العرب في القيام به يصبح استسلاماً للقوة إذا لم يرتبط بمواجهة عسكرية فعلية. فالاعتراف باسرائيل لا يلغي حقيقة اسرائيل كدولة توسعية. كما لو أن العرب الذين اعتقدوا أن عدم اعترافهم باسرائيل كان حربا ضدها، يريدون أن يقنعوا أنفسهم اليوم أن الاعتراف بها يمكن أن ينتج السلام معها. الصراع مع اسرائيل هو صراع على الهيمنة في المنطقة ولن ينتهي الا بتوازن قوى عسكري فعلي. هذا هو الشرط الاساسي والعملي للسلام، وهو مالا يحققه الاعتراف، بل هو ما يريد الاعتراف أو التلويح به أن يطمسه ويغطي عليه.

. المسالة السادسة تتعلق بالنظام الاجتماعي، الاقتصادي والسياسي. يبدو لنا أن العالم العربي لم يستطع الوصول الى التوازن الضروري بين حاجات التنمية والتقدم والحاجة الى العدالة الاجتماعية. وقاده ذلك الى مأزقين : مأزق التنمية المفقودة، ومأزق الاستبداد، فبقدر ما عجز عن استثمار امكانياته ايجابيا لتحقيق التوسع الاقتصادي زاد الضغط على الاستهلاك من جهة وتفاقم تركيز الثروات الاجتماعية من جهة ثانية.

فبغض النظر عن الايديولوجيات المختلفة التي رافقت بناء النظم العربية الراهنة، ارتبط التقدم المادي والتقني، بالتركيز الهائل للرساميل في أيدي الطبقة القائدة، أكانت طبقة خاصة، أم طبقة ــ دولة. وكان من المتوقع أن يساهم ذلك في تحقيق التراكم المتسارع، وتحسين التوزيع الاجتماعي للثروة. بيد أن هذا التركيز الكبير لرأس المال، قاد مع غياب الشروط السياسية الملائمة، من أحزاب ونقابات وتسكيلات اجتماعية ضاغطة مستقلة وفعالة، الى افساد الطبقة القائدة ومصادرة وسائل التقدم والتنمية.

واكتست المناقشة حول النظام الاجتماعي صورة المعارضة بين نظامين يستقي كل منهما من قيم مختلفة النظام الليبرالي والنظام الاشتراكي. وبدا كما لو أن التأكيد على قيم الحرية يتعارض في ذاته مع التأكيد على قيم العدالة الاجتماعية، فقد بدت الليبرالية كقبول بتنمية بطيئة يعوّض عنه التمتع المتزايد بالحريات، في حين بدت الاشتراكية كغياب مطلق للحرية يعوض عنه التقدم الصناعي والتنمية. والحال أن كلا النظامين ظهرا في التجربة على أنهما يخفيان التبعية من جهة، وسيطرة الطبقات غير المنتجة من جهة ثانية، ويستندان في بقائهما على تعميق التفكك الاقتصادي وتشديد الاستبداد وكل النظم العربية الراهنة مماثلة لبعضها البعض في بنياتها الاجتماعية والسياسية العميقة والظاهرة. وان اختلفت ايديولوجيات قادتها، وطرق تنظيم طبقاتها القائدة وميليشياتها الخاصة.

فوراء الايديولوجيات، يخفي توسع النظام الدولي الراهن في البلاد العربية آلية تكوين طبقة، نخبة خاصة محتكرة لكل وسائل العمل والفكر، وطبقة، شعب، فاقدة لكل الامكانيات والوسائل الضرورية لتفتحها وتطور هويتها الثقافية والسياسية. وهذه القطيعة الاجتماعية التي هي البنية الاساسية والمركزية للنظام العربي، هي نفسها التي تقف وراء فقدان التنمية والتوسع الاقتصادي وتلغي امكانية التطور في اتجاه تحقيق الحريات وتزايدها وتأمين العدالة الاجتماعية وتعميقها.

هذه العلاقة التي لا ضابط لها بين النخبة والشعب هي اذن مصدر عدم التوازن المادي والسياسي الراهن. ولا تبدو في الافق أي امكانية لتجاوزها. فالاندماج المتزايد في الحضارة يزيد من تمغرب النخبة وانفصالها عن الشعب، والانسحاب المقترح أكثر فأكثر من العصر الذي يلجأ اليه الشعب في مقاومته، يضعف امكانية الاستفادة من عناصر التقدم التقنية والعلمية، ويبطيء التنمية ويزيل من جديد أفق تحقيق العدالة الاجتماعية والحرية.

ليس هناك تقدم بدون نخبة، وليس هناك عدالة وحرية بدون شعب، وايجاد صيغة للتقدم تسمح بنمو وتعميق مشاركة مجموع السكان في عملية التنمية لا تبدو ممكنة أو على وشك الظهور بعد.

« الجامعة »

بمبادرة من مجموعة من أساتذة التعليم الثانوي والتعليم العالي صدرت :

« الجامعة »

جريدة ثقافية ــ تربوية

موجهة لعموم مرشحي

الباكالوريا بالمغرب

في مواد :

ــ الادب

ــ التاريخ والجغرافيا

ــ الفلسفة

الرياضيات.

في 15 اكتوبر 1982

وتوالي صدورها مرة كل أسبوعين

« الجامعة »

جريدتكم فكاتبوها إلى العنوان التالي :

ص.ب. : 7084 ــ الدار البيضاء ــ 02